الحياة الفكرية في مدينة توزر من القرن الثاني الهجري الى القرن التاسع الهجري

رامي عماد عبد عبد الله العامري
أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

كلية التربية ابن رشد/ قسم التاريخ

الحياة الفكرية في مدينة توزر من القرن الثاني الهجري الى القرن التاسع الهجري

رامي عماد عبد عبد الله العامري
أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

الملخص

ان المدن الاسلامية الصغيرة لاتقل شانا عن المدن الكبيرة من حيث الاهمية والاجتماعية او الاقتصادية او العلمية طالما ابناء تلك المدن يصنعون مستقبل مدنهم بسواعدهم وعلومهم، فتحظى بمكانة بين المسلمين وتصحب محط انظار وأدت مدينة توزر دور حلقة الوصل المهمة بنشر الدين الاسلامي بين قواعده في القيروان وتونس وبين ممالك ومدن دول جنوب الصحراء الذين دخلوا في الاسلام بدون قتال وانما عن طريق الدعاة المسلمين الذين يحملهم التجار معهم ومن مختلف المذاهب فنشروا الاسلام بدون تمايز فنالوا مكانة رفيعة بين ابناء الافارقة وقادتهم واضحت الدراسة ان مدننا الاسلامية بحاجة الى دراسة مستفيضة في جميع المجالات الحياة لاظهار مميزاتها وكثرة انتاجها سواء اقتصادي او فكري لكي يطلع الجيل الجديد على تاريخه وحضارته الحقيقية التي حاول دعاة الظلال الى طمسها من اعداء الاسلام والمسلمين .

Intellectual life in the city of Tozeur
From the second century AH to the ninth century AH

Abstract

Small Islamic cities are no less important than large cities in terms of social, economic or scientific importance, as long as the people of those cities shape the future of their cities with their hands and knowledge. Thus, they gain a position among Muslims and are the focus of attention. The city of Tozeur played the role of an important link in spreading the Islamic religion between its bases in Kairouan and Tunisia and between... The kingdoms and cities of sub-Saharan countries who converted to Islam without fighting, but through Muslim preachers brought with them by merchants from various sects. They spread Islam without distinction and attained a high position among the sons of Africans and their leaders. The study made clear that our Islamic cities need extensive study in all areas of life to show their advantages and abundance. Its production, whether economic or intellectual, is to inform the new generation of

its true history and civilization, which the preachers of the shadows have tried to obscure from the enemies of Islam and Muslims.

المقدمة :

تعد مدينة توزر احدى مدن أفريقية المهمة بشكل والمميزة فكانت من المدن ذات المكانة والمنارة الكبيرة العلمية ومن البقاء الحضارية واحدى اهم المراكز التجارية كونها تقع على مفترق طرق تربط بين اهم الدول الاسلامية آنذاك فقد كانت مدن بلاد الجريد ومن بينها توزر تحمل ما بين جنباتها بعض التناقضات السياسية والدينية سواء كانت عرقية او مذهبية كون تلك المدنية تقع على اطراف الصحراء على الرغم من مدينة توزر تعد حلقة وصل ما بين بلاد افريقية ذات اهمية كبيرة لمدن الصحراء وغيرها كونها حلقة وصل رئيسية فقد اهمل الباحثين دراستها بسبب كونها صغيرة في مساحتها وقلة المصادر عنها لذا جعلها تدور في فلك بلاد الجريد عموما وكانت توزر من المدن التجارية وحضيت بمكانة لدى الحكام والامراء وفيها البساتين من النخيل والفاكهة والزرع وتكاثر الانتاج الحيواني مما جعلها تشكل وحدة سكانية وجغرافية متكاملة .

أما الجانب الديني فقد كانت المذاهب المسيطرة كل حسب لمذهب السلطان ولكن الغالب هو المالكي والاباضي لذا كانت الصراعات فيها تستقر بين من وقت الى اخر ومن الطبيعي يؤثر على النشاط البشري سواء كان التجاري او الزراعي وعلى حركة الاسواق مما يؤثر بشكل مباشر على الاقتصاد العام في المدينة ، لذا اعمد الحكام في البلاد التونسية تولية ولاة اقوياء على تلك المدن ولاسيما توزر للقضاء على الصراعات المذهبية والقبلية كون مردودات الاستقرار تعود على الدولة بالمنفعة

تناول الباحث الحياة الفكرية في مدينة توزر وتضمن االبحث من مبحثين جاء في المبحثين عن الجانب الفكري والعلوم الدينية لمدينة توزر واشهر علمائها وايضا التنوع المذهبي الذي يقوى ويضعف على حسب ظروف الدولة المتابعة الى مذهب معين ما وتناول فيه عن العلوم الانسانية ومنها التجريبية واهم العلماء والادباء الذين اشتهروا واهتموا في اللغة العربية والفقه والشعر وتناولنا ايضا فيه عن التصوف وظهوره في المدينة واهم العلماء المتصوفين في المدينة ومن ابنائها الذين اشتهروا في مجال القراءات وتفسير الحديث .

المبحث الأول / مركز التعليم لمدينة توزر

١ – المساجد :

شهدت بلاد افريقية بناء المساجد ومنها مدينة توزر كبقية مدن بلاد الجريد وتحديدا من فترة الفتح الاسلامي الاولى للبلاد فزادت حركة ونشاط التعليم للدين الجديد مما انعكس على واقع المدينة وخاصة من الناحية التعليمية والثقافية والحضارية فتم بناء مسجد الحضر الكبير في مدينة توزر ويعد الجامع الكبير في المدينة فقد بناه المسلمون الفاتحون الاوائل فضلا عن المساجد في القرى المحيطة بتلك المدينة ، وتعد من الروافد المهمة للحركة التعليمية والفكرية للمدينة وقال عنها العبدري [١] حين زار تلك المدن من القرن الثامن الهجري قائلا :" مطمع الامال ومصاب كل برق ومحط كل رحال من الغرب والشرق وملتقى الركاب لا تنشد بها خالة من العلم الا وجدتها ولا تلتمس بها لقية ..." كان هذه الوصف للمدن الكبرى حين زيارته الى مدن بلاد الجريد وبدا من تونس وانتهى بمدينة توزر وصولا الى نفطة وجوارها في القرن الثامن الهجري .

وذكر التيجاني [٢] في رحلته عن جامع مدينة توزر حين وصولة قائلا :" شاهدت فيها كثير من اهلها يسكنون بغابتها ومباني الغابات اضخم واحسن من غيرها وفيها جامع للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر وهو من احسن المتفرجات لانه مجتمع الماء هنالك" . وهذا يدل على حسن بناء الجامع الكبير في مدينة توزر .

٢ - الكتاتيب :

تعد الاسرة العامل الاساسي في تربية الطفل فتقوم في غرس العادات والقيم الحميدة في نفسية وتعلمة حب الحديث فقد كانوا يشجعون ابناهم على تعلم القران الكريم وحفظة ، وتعلم سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

كانت الكتاتيب تعد المدرسة الاولى لتعليم الصبيان على القراءة والكتابة وتحفيظهم على الآيات والسور القرآنية وايضا الحروف العربية [٣] ، وغالبا ما تكون الكتاتيب الى جانب المساجد التي يتبع مريديها للمذهب الامام مالك ، مساجد الخوارج من الاباضية التي تخرج تلاميذها وفق التعليم الاباضية اما في عهد الدولة الفاطمية فقد بنيت مساجد خاصة بالشيعة الاسماعيلية لذا كانت لها مريديها تشكل حلقات مناقشة ومناظرة هدفها استباط للحكم الشريعة

وخدمة المسلمين [٤] ، وكان يجلس الصبيان على شكل حلقة حول المعلم الذي يكون قارئ وحافظ للقران وملم باللغة العربية ويتخذ من التعليم حرفة فقد كان يرسل الاب مع ابنة هدية الى المعلم عند اتمامه لحفظ القران الكريم وهو نوع من التكريم على الجهود المعلم في تعليم الاطفال [٥] .

الطرق التعليمية في مدينة توزر :

اولا: طريقة الالقاء:

وهي من الطرق المنتشرة في التعليم بين ابناء بلاد المغرب عموما وسائر المدن التونسية خصوصا ويقول ابن خلدون عن ذلك [٦] :" اما اهل بلاد افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان ، القران بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض من مسائلها الا عنايتهم بالقران واستظهار، الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياتهم ، وقراءاته اكثره مما سواه وعنايتهم في الخط تباً لذلك وطريقتهم في التعليم، اقرب الى طريقة اهل الاندلس" لذا فقد يذهب التلاميذ في الصباح الى الكاتب او المعلم فيجدون معلمهم جالسا في المسجد او في اماكن مخصصة لهم فيجلسون على شكل حلقة حول المعلم او نصف حلقة على شكل دائرية ويحمل كل طالب منهم على قلم ولوح ويدون علية الدرس [٧] بعدها يقوم المعلم على تعقب التلاميذ ومدى حفظهم وتقبلهم الى الدرس وبعدها ينظر الى الواحهم والى خطهم ومدى حسن الخط وبعد اكمال المنهج للطلاب يقوم باختبارهم وهي امتحانهم على القراءة والحفظ وبعد اجتياز المرحلة المطلوبة ينتقل الى مرحلة اخرى، ومن يريد الانقطاع منهم عن التعليم فقد يذهب الى مهنة اخرى والبعض منهم يذهب الى حرفة للعيش منها بعد ان اصبح متعلما يجيد القراءة والكتابة [٨]

ثانيا. الطريقة الميسرة:

تعد هذه الطريقة من اسهل الطرق وتكون بشكل تدريجي في اعطاء المعلومات والتي تبدا من السهل الميسر ثم الى المجرد المعلوم وتعد من الطرق العامة المتبعة في مدينة توزر وجوارها وتعتمد بشكل اساسي على البحث والتفكير ليس الاعتماد على الحفظ ويكون دور المعلم هوه الاشراف عليهم فقط [٩] ومن فوائد تلك الطريقة خلال فترة التعليم هي تعود التلميذ على المناقشات والمسائل العلمية وكانت هذه الطريقة منتشرة في مدينة توزر وباقي مدن

البلاد في القرن الرابع والخامس الهجري نتيجة تعدد المذاهب الفكرية لذا جعل التلاميذ يحبذون تلك الطريقة كونها تحثهم وتشجعهم على الاطلاع العلمي والتطور الفكري وتعطيهم قابلية في النقاش العلمي والجدل وقوة الشخصية [١٠] .

ثالثا. طريقة المباشرة:

تكون طريقة المباشرة هو ما يقوم به المعلم او الشيخ من تكليف احد التلاميذ الحاذقين في القراءة في كتاب مقرر ومعلوم لدى الطلبة اي يكون كتابا منهجيا معلوما ويستمع الحاضرون له وبعد انتهاء الطالب من القراءة يقوم الشيخ او المعلم بشرح مفصل ما قرأ الطالب على بقيه زملائه ويكون شرحه مفصل وتدريجيا ويشد انتباههم للدرس والاستماع الى اجوبتهم التي يطرحونها علية [١١] وتعد هذه الطريقة المتبعة في مدينة توزر وجميع مراكز التعليم في مدن بلاد الجريد وهي قيام الشيخ او المعلم الذي يتولى التدريس في احد فروع العلم كمعلم تفسير او كمعلم حديث واخر يكلف بتدريس علوم الفرائض وعلوم الحساب واخر يقوم بتدريس النحو واللغة حتى اذا جاء نهاية الاسبوع يقوم الطلبة بعرض ما درسوا على مدرسهم ما أشكل، عليهم في الدروس السابقة [١٢]

المبحث الثاني /العلوم الدينية في مدينة توزر وتشمل

اولاً : القران الكريم وعلومه:

يعد القران الكريم المصدر الاساسي في التشريع وهو النموذج الاعلى لدى الامة الاسلامية وبلاغة في اللغة العربية فيخذ منة العلوم المختلفة وفصحتها واكتسبت العلوم ، الدينية لدى المسلمين مكانة كبيرة [١٣] ، اما المنهج الذي وضعة سبحانه وتعالى هو لاصلاح البشر وجعلة شاملا كاملا قال سبحانه وتعالى :(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) [١٤] ، ويعد القران الكريم نظام شاملا فقد نجد فيه تفصيل كاملا لكل شيء وهو ليس فقط نظام عبادة فهو نظام عقيدة وحسن خلق وايضا اقتصاديا وعمران وفية العدل والتضحية وفية الاصلاح ما بين النفوس [١٥] ونزل القران الكريم على نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهو خاتم الانبياء والمرسلين وختم سبحانه وتعالى الكتب السماوية وهو حجة نبينا

وعرف في مدينة توزر من شيوخ وعلماء الذي الموا في قراءة القران الكريم ودرسوه وعلموه للناس ومن ابرزهم.

١- أبو زيد عبد الرحمن بن علي التوزوي:

الذي اشتهر بالفقه عرف بابن الصائغ الإمام الفقيه العالم الذي، لا تأخذه في الله لومة لائم أخذ عن أعلام القيروان وتولى قضاء الجماعة بتونس سنة(٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م) ثم صرف عنها ثم وتولى من بعده أبو القاسم بن البراء سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) وتوفي سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) [١٦] .

٢- أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي:

الذي يعرف بابن القصير الفقيه العالم المتقدم بنباهته، السلف والبيت البصير بصناعة الحديث الكثير العناية بالرواية والحفظ الوافر في الآداب والاشتغال بعقد الشروط وله تآليف عده ومنها استخراج الدرر وعيون الفوائد ، والخبر، وكتاب الألفاظ المساوية العيان المختلفة المعاني في الشكل واللسان، وكتاب مناقب أهل عصره ، وكتاب اختصار الوثائق، وكتاب اختصار الترمذي ،وكتاب اختصار الموطأ ، وغير ذلك، رحل لإفريقية واستقر بقرية من أعمال توزر وحدث بتونس سنة (٥٧٤ هـ/١١٧٦م) وركب البحر بمرسى تونس وتوفي سنة(٥٧٦هـ / ١١٧٨م)[١٧] .

٣- القاضي ابو زيد عبد الرحمن بن نفيس:

الامام الفقيه الفاضل وهو من الشيوخ الصالحين العالم العامل في القاضي العادل تولى قضاء في سنة ٦٤٠ هـ ثم صرف عنها سنة(٦٤٦ هـ ١٢٤٨م) وتولى مكانه أبو زيد التوزري، توفي سنة (٦٨٢هـ ١٢٨٣م) [١٨]

٤- ابو عبد الله محمد بن احمد الوانوغي التوزري:

وهو احد شيوخ مدينة توزر وعلمائها كان امام العلامة العمدة المحقق في الفهامة كان شديد الذكاء والحفظ شديد اله الكثير من المدونات في غاية الجودة وله اسئلة في فنون من العلم بعث بها إلى القاضي البلقيني [١٩] وأجابه عنها ثم رد الى ما قاله البلقيني وهو يشهد بفضله ولده سنة (٧٥٥ هـ ١٣٥٧م) وتوفي بمكة سنة (٨١٩ هـ ١٤١٦م) [٢٠] .

يعد من الشعراء والادباء الكبار في مدينة توزر توفي عن ثمانين سنة في قلعة بني حماد [٢١] بجنوبي من سهل بجاية في المحرم سنه (٥١٣هـ ١١١٥م) وقبره يزار حتى الان [٢٢] .

ثانيا - علوم الحديث الشريف :

اهتم اهل توزر بعلوم القران وبعلوم الحديث الشريف للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ويشمل علم الحديث كل نقل ما قالة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) او فعلة او روايته وقيل كل ما جاء ، عن نبيا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من قول او من فعل او من وصف خلقي [٢٣]

وتعد علوم الحديث من العلوم المهمة في الشريعة الاسلامية بل من اهم علومها بعد القران الكريم هو مؤكد ما جاء في القران الكريم ، من احكام واوامر او عن توضيح او مبينا ما يحتاج للتوضيح لانه بعض آيات القران الكريم في مجملة او عامة او عملة فجاء النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقيدها او بينها والبعض منها خصصها فالقران الكريم مثلا لم يبين تفاصيل الصلاة انما امر سبحانه وتعالى بها مجملة فأوضح الرسول (صلى الله علية واله وسلم) عن اوقاتها وكيفيتها وايضا كانت تعرض على نبينا اسئلة وتعرض علية حوادث فيقضي بها فكان يجيب على الاسئلة وكان ببعض الاحيان ينزل فيها آيات او لا تنزل مما اصبح الحديث ، مرجع للمشرعين [٢٤] وجاء رفد القران الكريم عن طريق اقوال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ذكر فيه قوله تعالى(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) [٢٥] وجاء في قوله سبحانه وتعالى :(وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنة فانتهوا) [٢٦] .

اشهر المحدثين في مدينة توزر ومنهم :

١ - ابو عمر عثمان محمد بن عثمان التوزري المالكي :

وهو الحافظ عثمان بن محمد بن عثمان بن ابي بكر، الامام فخر الدين ابو عمرو المغربي ، التوزري المالكي المقرئ المحدث المجاور الزاهد، ولده سنة (٦٣٠ هجري- ١٢٣٢م) وروى عن ابن الجميزي، والسبط وقرأ ،بالسبع على أبي إسحاق وقد مات في ربيع الآخر سنة (٧١٣هجري – ١٣١٥م)[٢٧] .

٢ – ومن المحدثين ابو مروان عبدالملك ابن ابي القاسم الشهيرب(الكردبوسي)

التوزري رحل ابو مروان ابن الكردبوسي الى مصر في المحرم سنة ٥٧٣هـ ١١٧٧م من اجل تلقي العلم وسمع من عبد الوهاب بن علي القرطبي والحافظ بن ابي طاهر وكما سمع الموطا من عبدالله بن محمد بن سعادة والاصبحي الداني وبعد رجوعة من رحلته في طلب العلم اقام في مدينة تونس مده قصيرة من الزمن ثم رجع الى مدينة توزر وتوفي فيها سنة (٥٧٧هجري – ١١٧٩م) [٢٨] .

٣ – عمر ابن احمد بن عبدالله بن احمد التوزري:

يعرف بابن عزرة ويكنى ابو حفص دخل الى الاندلس طالبا فيها العلم فلقي بقرطبة ابو محمد بن عتاب وابو الحسن بن سراج ، والوليد العتبي وابو بحر الاسدي وغيرهم ثم ذهب الى مدينة بجاية وحدث واخذ الناس عنه وكان ، من أهل المعرفة في علوم الحديث والفقه وتوفي سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٤م) [٢٩] .

٤ – محمد بن احمد بن القيسي الشاطبي التوزري ولده سنه (٦١٤ هـ / ١٢١٨م)

كان عالم بالحديث والفقه ومشارك في بعض العلوم وهو اصله من توزر وذهب الى مصر ثم الى مكة وبعدها قام برحلة الى بغداد والجزيرة والشام وبعدها الى مصر وفوضت له مشيخة دار الحديث الكاملية في القاهرة ودرس وافتى فقد كان عالما عاملا زاهدا وتوفي سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧م) [٣٠] .

ثالثا : **الفقه**.

هو فهم للشيء والعلم ومنه فهم الأحكام الدقيقة ومنها المسائل الغامضة ولم تكن الرسالة الاسلامية رسالة موضعية ،محدده فيما تخص جيل من البشر ، ليست شأن الاديان الاخرى او التي سبقتها فأن الدين الاسلامي فقد جاء برسالة، الى جميع الناس [٣١] قال سبحانه وتعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [٣٢] ، فالفقه هو العلم باحكام الشريعة والمسائل الغامضة بحيث المكتسب من ادلتها التفصيلية فيأخذ من القران الكريم والسنة والاجماع[٣٣] .

ومن الفقهاء الذي عملوا في مدينة توزر هم :

١ – الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي البركات عمر، بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن القسطلاني التوزري المولد المكي ،الدار المالكي امام ومن الفقهاء الذين برز في مدينة توزر [٣٤] .

٢ – وهذا الفقيه ابو محمد عبد الله بن، يحيى بن علي ابن زكريا المعرف (الشقراطيسي) نسبة الى قلعة بالقرب من، قفصة وهو من ابناء توزر وفحول نبغائها اخذ العلوم من القيروان ثم حج وعاده إلى مدينته واقرا العلم بها ونشره واخذ عنه اعلام منهم ابو الفضل بن النحوي وكان له الباع الطويل في ، العلوم الدينية وفنون الآداب، وتوفي سنة (٤٦٦ هـ /١٠٦٨م)

رابعا: **التصوف**

التصوف :هو علم ظهر في الامة الاسلامية الذي، يدعو الى الزهد واخلاص في العبادة وقاله عنه أبن خلدون [٣٥] :" هو علم محدث في الامه" ، كان بداية التصوف في اول ظهور له هو أعتزال النشاط الاجتماعي ومنها الامور الدنيوية مما حصر الجهود في انشطة دينية ذات طابع روحي مما التزموا على اسلوب عيش بسيط متواضع فقد لبسوا لباس خشن الذي اتخذه الزاهد تعبيرا على الابتعاد عن مظاهر الترف ولهذا فقد :" نسبوا الى ظاهر اللباس ولم ، ينسبوا الى نوع من انواع العلوم، والاحوال التي هم بها مترمسون لان لبس الصوف كان دأب، الانبياء (عليهم السلام) والصديقين وشعار المساكين" [٣٦] فعرف عن التصوف بانه :" علم الفتوح يفتح الله تعالى ، على قلوب أوليائه في فهم كلامة ومستنبطاته خطابة ما شاء وكيف شاء"[٣٧] وقيل بانه التصوفين هم من حكماء اي يتمتعون من علم وحمكه

اما التصوف في افريقيا فقد عرفه ابن خلدون قائلا[٣٨] :" فأن هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور، من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في

الصّحابة والسلف. فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة " مما عده التصوف نسقا منهجيا اكتسب فيها المعرفة والتي يشمل منها الحياه والسلوك فقد اصبح مسلكا من الحياه في مضمون فكري الذي يغلب فيه الجانب الروحي جانب المادي في جميع جوانبه [٣٩] فقد بدا التصوف في الكوفة والبصرة وبغداد من قبل روادها كا ابي بكر الشبلي والحكيم الترمذي والمعرف بالكرخي وغيرهم من مارسوا التصوف ثم بدا المتصوفون يمارسون شعائرهم الخاصة بهم وتقاليدها ثم الزي والتبشير وبدوا بتأسيس المنشات الروحية لكي يعملوا على ممارسة الطقوس الخاصة ثم بعد ذلك توسعت ، الصوفية مما اصبحوا يمارسون تقاليدهم ونشاطاتهم في المساجد على شكل حلقات علمية كان ذلك في اواسط من القرن الثالث الهجري [٤٠]

خامسا : **العلوم الانسانية** :

اشتهر اهل مدينة توزر بعدة علوم منها

أ – علم اللغة والنحو:

من ابناء مدينة توزر الذي ذاع صيتهم في بلاد افريقية وبين الوفدين اليها هو :

١ – علي بن ابراهيم بن محمد بن ابو القاسم التجاني ابو الحسن الراوي الاديب كان ملما في قراءة العربية وألادب ولد سنة(٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) وتخرج على يده جماعة ومنهم قريبة عبد الله التيجاني صاحب الرحلة ومحمد بن جابر الوادي الذي اخذ عنه (شمائل النبي صلى الله عليه واله وسلم) توفى سنه (٧١٤هـ / ١٣١٦م) [٤١] .

٢ – ومن الذي درسوا علم اللغة احمد ابن محمد ابن موسى التوزري الأصل قرأ بالروايات على ابن السلار وكان متقنا في العربية والفقه وحفظ فيه المنهاج للنووي وأجاز القاضى عز الدين بن جماعة أجازة وروى عنه باجازته، ذهب الى مكة في سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٩٢ م وجاور بها على طريقة حسنة، من ملازمة مما اقراء ولاشتغاله بالعلم والعبادة الكثيرة مع الورع التام حتى توفي سنة(٨٠٠هـ / ١٤٠٢م) [٤٢] .

٣ – وممن اشتهر في تلك العلوم وهو البختري ابراهيم بن محمد البختري التوزري الفقيه المشارك في علوم اللغة والشعر والبختري نسبة إلى البخاتره في مدينة توزر حفظ

القرآن الكريم في بلده وأخذ من شيوخ توزر قسطا من العلوم ثم التحق بالازهر واخذ من علمائه وبعد إنهاء تعلمه بالازهر أدى فريضة الحج وبعدها تجول في مدن الحجاز وقراه، واتصل بعلمائه ثم رجعة الى مدينة توزر وانتصب فيه للتدريس ثم بعد ذلك عين قاضيا ببلده وبعده عينه على تدريس اللغة والنحو .

ب – علم التاريخ :

وهو احدى العلوم التي اهتم بها العلماء المسلمين وتعد العلوم المرموقة بين العلوم الاخرى وكان المؤرخون يدرسون كافة مظاهر حياة الانسان من ماضي وثقافي ديني واجتماعي ومنها حوادث سياسية واقتصادية وغيرها.

ويكون التاريخ على شكل وجهان الاول منها يتناول فيه الامم والرسل والانبياء والملوك والقادة وقرى في سالف الايام اما القسم الثاني فهو تذكره وتنمية ومنها الموعظة كما جاء قولة سبحانه وتعالى :(تلك القرى نقص عليك من انبائها)[٤٣] وجاء في قوله تعالى :(وكلا نقص عليك من انباء الرسل وما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) [٤٤]

١ – من مؤرخي توزر هو: محمد بن أحمد بن قاسم بن، عبد الرحمن بن أبي بكر العمري بن تقي الدين الحرازي ثم المكي ولده سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٣ م) وهو من مؤرخي مدينة توزر سمع الكثير من جده وأخيه الصفي ، والفخر التوزري توفي في سنة (٧٦٥ هـ / ١٣٦٧م) في دمشق [٤٥] .

ج – علم الفلك :

وهو من العلوم التي تدرس طبيعة الظواهر الفلكية ويستخدم في دراسة علوم الفيزياء والرياضيات وعلم الكيمياء فهو يعرف منه الاعتدال في التشكيلات الفلكية من اوضاع ويشمل شرح اصل تطور لتلك الظواهر، والاجرام المثيرة في اهتمام كالكواكب والنجوم والاقمار وغيرها ومن العلماء الذين ذاع صيتهم في بلاد افريقية ومدينة توزر هو: [٤٦]

عمر بن عبد الرحمن بن ابي ،القاسم ابن محمد بن زكريا ، القرشي المخزومي التوزري: فلكي تونسي من أهل توزر. له محصلة المطلوب في العمل بربع الجيوب في الفلك، وله

كتابا للتوزري أيضا اطلق عليه اخلاص النصائح في تخطيط الصفائح على رسائل محصلة المطلوب في العمل بربع الجيوب [٤٧]

الخلاصة:

توصل الية الباحث هو ارتفاع شان العلم والعلماء بين ابناء المدينة فبنيت المساجد والكتاتيب في عموم المدينة التي شهدت حركة علمية ميزتها عن باقي جوارها حتى ان العلماء اطلقوا عليها مدينة البصرة الصغرى يدل على علو كعب ابنائها في العلم والنقاش والجدل لكثرة المشاريع الفقهية من اسماعيلية شيعية ومالكية وحنفية واباضية خارجية ، وهذ التنوع الفكري زاد المدينة علما وكثر عمائها ، وبرز عدد كبير من علماء حتى اصبحت قبلة لطلبة العلم والرحالة لغرض الاطلاع ماتوصلت اليه المدينة من تطور في الجانب الفكري.

وتوصل الباحث ان المدن الاسلامية الصغيرة لاتقل شانا عن المدن الكبيرة من حيث الاهمية والاجتماعية او الاقتصادية او العلمية طالما ابناء تلك المدن يصنعون مستقبل مدنهم بسواعدهم وعلومهم، فتحظى بمكانة بين المسلمين وتصحب محط انظار وأدت مدينة توزر دور حلقة الوصل المهمة بنشر الدين الاسلامي بين قواعده في القيروان وتونس وبين ممالك ومدن دول جنوب الصحراء الذين دخلوا في الاسلام بدون قتال وانما عن طريق الدعاة المسلمين الذين يحملهم التجار معهم ومن مختلف المذاهب فنشروا الاسلام بدون تمايز فنالوا مكانة رفيعة بين ابناء الافارقة وقادتهم واضحت الدراسة ان مدننا الاسلامية بحاجة الى دراسة مستفيضة في جميع المجالات الحياة لاظهار مميزاتها وكثرة انتاجها سواء اقتصادي او فكري لكي يطلع الجيل الجديد على تاريخه وحضارته الحقيقية التي حاول دعاة الظلال الى طمسها من اعداء الاسلام والمسلمين .

هوامش البحث:

---

(١) العبدري ، الرحلة ، ط٢ ، ص١٠٨ – ١١٠ .

(٢) رحلة ، التيجاني ، ص١٥٨ .

(٣) بن يوسف ، الصوفية بافريقية ، ص٥٦٩ – ٥٧٠ .

(٤) العقباني ، محمد بن احمد بن قاسم التلمساني ، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتفسير المناكر ، ص٧٥ – ٨٢ .

(٥) برنشفيك ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، ج٢ ، ص٣٧٤ .

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦٢٤ – ٦٢٥ .

(٧) اسكان ، تاريخ التعليم ، ص١٠٦ – ١٠٧ ؛ عبدلي ، الحياة الثقافية ، ص٩٨ .

(٨) العبدلي ، الحياة الثقافية ، ص٩٧ .

(٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦١٦ – ٦١٨ .

(١٠) العبدلي ، الحياة الثقافية ، ص٩٥ – ٩٧ .

(١١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦١٩.

(١٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦١٨ ، اسكان ، الحسني ، تاريخ التعليم في المغرب ، ص١١١–١١٤.

(١٣) معروف ، اصالة الحضارة العربية ، ص١٤٣ – ١٤٤ .

(١٤) سوره المائدة ، رقم الاية ٣ .

(١٥) الوليد ، علوم القران ، ص٣ – ٤ .

(١٦) مخلوف ، شجرة نور الزكية ، ص٢٧١ .

(١٧) المصدر نفسة ، ص٢٢٢ .

(١٨) مخلوف ، شجرة نور الزكية ، ص٢٧٤.

(١٩) البلقيني هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب، من قبيلة كنانة وهومن كبار الشافعية ولد في مصر سنة (٧٢٤ هـ / ١٣٢٦ م) في قرية ببلقينة التي ينسب لها . الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٣٣١ .

(٢٠) مخلوف ، شجرة نور الزكية ، ص٣٥٠ ؛ محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج٥ ، ص١١٨

(٢١) قلعة بني حماد تم بنائها على يد حماد بن بكلين سنة ٤٠٥ هـ / ١٠٠٧م التي تقع فوق سفوح الجبال لكي يتمكن من مراقبة العمليات العسكرية للاماكن المجاورة له ، ولها ثلاثة ابواب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ٤٢٢ .

(٢٢) مخلوف شجرة نور الزكية ، ص١٨٥.

(٢٣) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ج١ ، ص٣٨٥ – ٣٨٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٥ – ٦ .

(٢٤) امين ، فجر الاسلام ، ص٢٢٨ – ٢٢٩

(٢٥) سورة النجم ، رقم الاية ، ٣ .

(٢٦) سورة الحشر ، رقم الاية ٧ .

(٢٧) ابو سعيد المفضل ، فضائل مكة ، ص٤١ .

(٢٨) محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج٤ ، ص١٥٨ ؛ ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٢٩) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج٣ ، ص١٦١

(٣٠) عادل نويهض ، معجم المفسرين ، ج٢ ، ص٤٨٠ .

(٣١) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٨ ، ص٩

(٣٢) سوره الفرقان ، رقم الاية ١ .

(٣٣) الاجماع . وهو يكون اتفاق العلماء ونهم مجتهدي الامة على امر او راي شرعي ، الزحيلي ، الوجيز ، في اصول الفقه الاسلامي ، ج١ ، ص٢٢٦.

(٣٤) عز الدين، صلة التكملة الوفيات النقلة ، ج٢ ، ص٥٢٥ .

(٣٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦١١ .

(٣٦) عبد السلام ، العقل والحضارة ، ص٦٦ – ٦٧ ؛ الطوسي ، اللمع في التصوف ، ٤٢.

(٣٧) الطوسي ، اللمع في الصوف ، ص٣٦ – ٣٧

(٣٩) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج٢ ، ص٣٣٩ – ٣٤٤٤ ؛ بن يوسف ، الصوفية بافريقية ، ص٦٠ – ٦١ .

(٤٠) الدباغ ، الاسرار الجلية ، ص٥٠ ؛ الغبريني ، عنوان الدراية ، ص٢٠ – ٢٥ .

(٤١) الشماخي ، السير ، ص٤٥١ – ٥٥٧ ؛ محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج١ ، ص١٥٩

(٤٢) تقي الدين محمد ، الوفيات ، ج٣ ، ص١١٢

(٤٣) سورة العراف ، رقم الاية ١٠١

(٤٤) سوره هود ، رقم الاية ١٠٠

(٤٥) شهاب الدين ، الدرر الكامنة في اعيان الثامنة ، ج٥ ، ص٨٠ .

(٤٦) زادة ، طاش كبري ، مفتاح السعادة ، ج١ ، ص٣١٢ – ٣٤٥ .

(٤٧) الزركشي ، التراجم والطبقات ، ج٥ ، ص٤٩ .

قائمة المصادر والمراجع:

اولا : المصادر.

١- . **أبن الجزري: محمد بن يوسف:ت، ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م.** غاية النهاية في طبقات القراء،(مكتبة ابن تيمية ، دمشق ،د ،ت)..

٢- . **ابن حجر العسقلاني : ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني . ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة : تحقيق . محمد عبد المعيد ، ط٢ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ،(الهند ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).**

٣- . **أبن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون: ت، ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م** مقدمة أبن خلدون ، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ٢٠٠٦).

٤- . **الدباغ: عبد الرحمن بن علي الانصاري : ت, ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠م** .معالم الايمان في معرفة أهل القيروان : تحقيق، د. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ٢٠٠٥).

٥- . **الدرجيني: أبو العباس احمد بن سعيد: ت, ٦٧٠ هـ/ ١٢٧٢ م.** طبقات المشايخ في المغرب : تح، ابراهيم طلالي ، مطبعة البعث ،(الجزائر، ١٩٨٥).

٦- . **الشماخي: احمد بن سعيد بن ابي عثمان بن بدر الدين: ت، ٩٢٨ هـ / ١٥٢١م.** السير: تح ، احمد بن حسن السواحلي،(عمان ، ١٩٩٢).

٧- . **الطوسي: عبدالله بن علي السراج: ت، ٣٧٨ هـ /٩٨٨م.** اللمع في التصوف: تحقيق ، عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، نشر مكتبة المثنى ، (بغداد ، ١٩٦٠).

٨- . **العقباني: محمد بن احمد التلمساني: ت، ٨٧١ هـ / ١٤٦٧م.** تحفه الناظر وغنية الذاكر لحفظ الشعائر وتفسير المناكر: تح ، علي الشنوني ،(الجزائر ، ١٩٦٧).

٩- . **الغبريني: أبو العباس احمد بن عبدالله بن علي: ت، ٧١٤ هـ / ١٣١٤م** . عنوان الدراية ممن عرف من علماء في المائة السابعة بباجة ، تحقيق ، عادل نويهض ، نشر دار الافاق الجديدة ، ط٢ ،(بيروت ، ١٩٧٩).

١٠- . **المقريزي: احمد بن علي بن تقي الدين: ت، ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م** . درر العقود في تراجم الاعيان: تح ، محمد عبد القادر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.

١١- . **ياقوت الحموي: ابو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله: ت، ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م** معجم البلدان ، دار صادر ، ط٢ ،(بيروت ، ١٩٩٥).

١٢- **ابن الابار: محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي: ت،٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م.** الحلة السيراء: تحقيق ، د. حسين مؤنس ، ط٢، دار المعارف ،(القاهرة ، ١٩٨٥).

١٣- **التيجاني: أبو محمد عبدالله بن محمد: ت ، ٧١٧ هـ / ١٣١٧م.**رحلة التيجاني: تقديم حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتب ،(تونس ، ١٩٨١).

١٤- **الزركشي: أبو عبدالله محمد بن ابراهيم ، كان عائشا بعد ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩م** تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية :تح ، محمد ماضور، مكتبة العتيقة ، ط٢ ،(تونس ، ١٩٦٦).

١٥- **العبدري: محمود بن محمد ابن علي ، احد علماء القرن الثامن الهجري.** رحلة العبدري: تح ، علي ابراهيم الكردي ، تقديم شاكر الفحام ، ط٢ ، دار سعد الدين ،(دمشق ، ٢٠٠٥).

١٦- **م . عز الدين: احمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني:ت، ٦٣٦ هـ / ٦٩٥ م صلة التكملة لوفيات النقلة حققه وضبط نصه وعلق عليه: د . بشار عواد معروف** ، نشر دار المغرب الاسلامي ، لبنان ،(بيروت ، ٢٠٠٧).

ثانيا : **المراجع**.

١٧- . **اسكان: الحسني.** تاريخ التعليم في المغرب خلال العصر الوسيط ، ١- ٩هـ / ٧ -١٥م ، معهد الملكي للثقافة الافريقية ، (الرباط ، ٢٠٠٤).

١٨- . **الزركلي: خير الدين بن محمد.** معجم الاعلام ، ط٥ ، دار الملايين ، د ت ، ٢٠٠٢م.

١٩- . **الوليد: فرج توفيق.**علوم القران ، نشر دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٨).

٢٠- . **امين: احمد.** فجر الاسلام مؤسسة الهنداوي ،(القاهرة ، ٢٠١٢).

٢١- . **زاد: طاش كبري.** مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم ، نشر دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣.

٢٢- . **كحالة: عمر.** معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي ، د. ت.

٢٣- . **مخلوف: محمد بن عمر بن قاسم.** شجرة نور الزكية في طبقات المالكية ، اخرج حواشيه ، عبد المجيد الخالي ، نشر دار الكتاب العلمية ، ط٢ ،(بيروت ٢٠١٠).

٢٤- .**محفوظ: محمد.** تراجم المؤلفين التونسيين: نشر ، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت ، ١٩٨٦).

٢٥- .**نويهض: عادل.**معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٨٠).

٢٦- ٠ بن يوسف . زهير. الصوفية بافريقية سير الرجال وسير الافكار ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس ،(تونس ، ٢٠١٨).

٢٧- عبد السلام . نور الدين.العقل والحضارة . دار التنوير ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

ثالثا . **المراجع المعربة**:

٢٨- . **برنشيفيك: روبار**.تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الى نهاية القرن ١٥ م ، ترجمه ، حمادي الساحلي ، نشر دار الغرب الاسلامي ،(بيروت ، ١٩٨٨).